رحلة الشواطئ الجميلة.. من عدن إلى باب المندب

بحيرة الشورا.. منتجع بشجرة المنجروف وتربية السلاحف والتماسيح

خور عميرة.. من أقدم الموانئ في التاريخ.. ماتزال آثاره قائمة حتى اليوم

شواطئ بحرية طويلة.. ومناطق سياحية بديعة تفتقر للخدمات الأساسية

□ .. لم تنتــه زيارة رأس العــارة لأن الذاكــرة لازالت تستحم بمياهها الدافئة .. وتتوق إلى رحلة جديدة أكثر إثارة

وأبعد تأملا من رؤية الماء والرمل .. لم يكن التوقف حينها عند آخر نقطة ..

اختياريا .. بل كان هناك ما يمنع الوصول إلى باب المندب.. الزمن.. وظروفه أو لنقل أدواته لم تكن مطوعة لمواصلة الرحلة .. كما أن التوقف في حضرة الشواطئ المؤدية إلى رأس العارة..

عدن/استطلاع/عبدالناصر الهلالي

لم تكن هي الأخرى محل توقف السيارة بنا لأسباب خاضعة لسائقها .. الشيء الذي جعلني استعرض الطريق بشواطئها الجميلة بشكل مقتضب قد لايشبع القارئ وإن كان الجديد فيه موجود .. وهذا ما استوقف الاستاذ علي ناجي الرعوي رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير خلال زيارته لمدينة عدن بصحبة الوفد الإعلامي السعودي – وقال حينها كان من المفترض أن تخرج بخمس حلقات من تلك الطريق التي حلم بها أبناء تلك الشواطئ طويلا .. وهذا هو المفترض .. من حينها قمت بزيارة إلى رأس عمران كخطوة أولى لاستدراك مافاتني في رحلتي الأولى على طريق رأس عمران باب المندب .. على أمل أن تكون الزيارة التالية إلى خور العميرة وهكذا دواليك .. وجاءت الفرصة المناسبة حين قررت مؤسسة الثورة ممثلة بفرع عدن تنظيم قافلة صحفية إلى باب المندب .. والتوقف عند كل نقطة يمثل فيه البحر نافذة للتأمل إلى اللانهائي في قاموس الماء.. وجاءت اللحظة .. وكنا على أستعداد. وكانت الطريق الأمل المتوثب على صدر الشاطئ المتدني متاهة الرمل..

السفر الجميل

● كانت الساعة حينها السادسة صباحاً عندما امتطينا باصات السفر الجميل .. أشعة الشمس ترسل خيوطها على أزقة الاحياء .. في البارحة كان المطر ليلا قد غسل الشوارع .. وترك رائحة البوح على حروف القصيدة التي لم تكتب بعد.. إنها عدن في صباحات الورد .. الدخول من رحلة الماء بدأت من مدينة البريقة– بعد تناول الفطور.. من هنا مرت الريح.. بل من هنا التاعت المدينة وهجا.. لعلها هنا تركت الباب مشرعا لجميل يأتي وئيدا من خاصرة الروح .. الصورة تتكرر لكنها تكبر عند رؤية رأس عمران .. فيما تتسع عند الزملاء الذين ينظرون شواطئها لأول مرة .. محمد العنسي .. بشير .. يلتاعون لرؤية أول نقطة نتوقف عندها.. ومع كل ذلك فعيونهم تذهب هنا وهناك علها تجد اللؤلؤ في حبيبات الماء أو لعلها تشبع رغبة الرؤية في سفر البحر الطويل .. لم يتغير شيء منذ الزيارة الأولى غير أن أهمية الطريق تتفتح في عيون سكان الشواطئ كلما داهمت منازلهم ملمة المرض أو كلما شعروا بالرغبة لزيارة عدن في أقل من ثلاث ساعات .. محمد أحد ساكني وادي مرخة المتاخم لخور عميرة وهي أول نقطة نتوقف بها.. وأول نقطة تبدأ منها محافظة لحج.. (الشاطئ بعد أن تركنا محافظة عدن عند نقطة مشهور محمد قال: بأن الطريق هي الشريان الذي يمدهم بالحياة وإن كان المستوى للخدمات هناك متدنية .. وإن كانت المدرسة الصغيرة بانتظار معلم للطلاب وإن كان الماء لا يأتي إلا بشق الأنفس إلا أن الآتي من أتون الطريق محل انتظار الجميع .. محل أمل الزائرين الذين وجدوا في تلك الشواطئ متسعا لهمومهم المنسية.

خور عميرة و٧٠٠ق.م

● ولو لدقيقة حب في التحام مع البحر.. ربع ساعة كانت البداية الأولى لتوقد الحس الصحفي في كل شيء حتى في الرمل ابناء مرخة لايعرفون معنى العيد لانهم يقضون ذلك اليوم في البحر بحثاً عن رزق الأطفال الباحثين عن حروف البداية.. وربما يقضون ليالي زفافهم في قوارب الصيد .. ربما الكثيرون يحسدون هؤلاء ليس لمستوى المعيشة ولكن لجمالية المكان الذي يفتقده شهر العسل عند الكثير من الناس.

الليل أو النهار لا فرق في ميزان الصيد .. فأينما وجد السمك فثمة شباك فاغرة فاها .. وادي مرخة جزء من خور عميرة .. الميناء القديم منذ ٧٠٠ قبل الميلاد والذي لاتزال آثاره باقية حتى اليوم بحسب مصادر محافظة لحج السياحية من مرخة تبدأ اللسان البحري .. وهي عبارة عن يابسة تشق البحر باتجاه خور العميرة من الزيارة الأولى لم أتمكن من التوقف عند هذه النقطة التائهة في رحلة الماء وربما كانت هذه الرحلةهي المكملة لبداية كنت قد طرقتها في شهر مارس لهذا العام.. في خور عميرة يوجد مستوصف بني مؤخرا لكنه بحاجة إلى أطباء .. وتوجد مدرسة حتى الصف التاسع لكنها بحاجة إلى معلمين بما فيه الكفاية .

رأس العارة ميناء طبيعي

● من شاطئ مرخة إلى ميناء العميرة التاريخي ربع ساعة بالسيارة .. وهذا ربما السبب من تركيز الخدمات في خور العميرة أضف إلى التواجد السكاني الذي يقترب إلى حد ما مع نقطة رأس العارة التي تعد جزءاً كبيراً من مديرية المضاربة التابعة لمحافظة لحج.. السيارة تواصل سيرها صوب باب المندب تمر بوديان لاحصر لها .. هنا خبت البقر الذي جاءت تنميته نتيجة لتواجد الأبقار فيه قديما .. وديان تخترق جسور الاسفلت لتصب في البحر.. وجمال ترعى على طول الطريق .. شجرة الأراك الطعام المستساغة للجمال ربما لأنها الشجرة الوحيدة المفروشة على طول الشاطئ من خور العميرة حتى رأس العارة .. السيارة تقترب بنا رويداً رويداً من رأس العارة– بمسافة قليلة من مركز الشاطئ الميناء القديم أيضاً تتجاوز أرض منبسطة .. مرصوفة باحكام قيل أنها كانت مطاراً للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية .. عندما كانت القوات البريطانية تسيطر على مضيق باب المندب والبحر الأحمر بشكل عام في وسط تهافت دولي للسيطرة على هذا المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .. وهذا بالفعل ما ذكرته المصادر التاريخية .. للأماكن دورها في استراتيجية الحرب.. وللمنافذ شغف أيضا في أطماع القوى العظمى على التاريخ وهذا فعلته القوى المتنافسة على قيادة العالم في البحر الأحمر ،، ونحن جزء كبير فيه.. وإذا كانت التجارة هي المحرك الوحيد .. فإن السياسة لعبت على مر التاريخ على امكانية السيطرة على هذه المنافذ .. قناة السويس البوابة الشمالية وباب المندب البوابة الجنوبية للبحر الأحمر..

رحلة الشغف (السقية)

● وبعيدا عن الفوضى العالمية .. والأطماع العبثية ،، تواصلت رحلة الشغف من رأس العارة .. نقطة التوقف الأولى الابحار في جديد الطريق استرعى انتباهي وشل تركيزي من تلك النقطة لم آبه للفكاهات التي أخذت حيزا كبيرا من الرحلة.. وذهبت أغزل في مخيلتي زرقة الماء .. وأصطاد بعدستي لقطة هنا وأخرى هناك.. تفصل الطريق من رأس العارةإلى السقية عدة أودية تصب مياهها في البحر .. ولا عجب إن وجدت زراعة الأعلاف بجانب البحر نتيجة للمياه المنحدرة من هذه الأودية .. السقية آخر نقطة من محافظة لحج .. لتبدأ الرحلة إلى محافظة تعز في ذات الطريق المتكئ على حرارة الرمل وبرودة الماء .

السقية واسعة.. من جانبي الطريق تأخذ منازلها على جانب الشاطئ منازل بعضها بنيت بالاحجار لم يسعفنا الوقت للتوقف عندها.. لكن الفرصة تواتت لتصويرها .. من السقية تقترب الطريق باتجاه شاطئ العرض المتاخم لشاطئ غريرة آخر نقطة الرحلة.. ومنها إلى باب المندب أو جزيرة ميون نصف ساعة بالقارب .. عند نقطة العرض يتجه الطريق يمينا صوب ذباب– إحدى مديريات محافظات تعز الساحلية فيما تتجه يسارا صوب شاطئ غريرة الذي وصلناه الحادية عشرة قبل الظهر .. حيث كانت آخر نقطة هي شاطئ الشورا ذات الكثافة لشجرة المنجروف– المحفورة على ذاكرة الماء– وإن كان بعضها مات وهو واقف والبعض الآخر يقاوم التيبس ويأبى سقوط أوراقه .. في هذا المكان تختبئ كل المتعة .. وتنسى بحضرة الزرقة كل معاناة الطريق التي لم توجد في رحلة الاستكشاف الأولى من بحيرة الشورا.. تتواجد السلاحف كما أشار الشيخ محمد .. وكذا التماسيح ، الطيور هي الأخرى تزين المكان لترسم لوحة جميلة لزرقة الماء .. لوتبين للبحر في تلك النقطة يقف المرء حيالها شاكرا لأنعم الله تفكرا في مخلوقاته.. إن الزائر لشاطئ غريرة تظل زيارته ناقصة إن لم يواصل رحلته إلى بحيرة الشورا..

أضف إلى ذلك جزيرة الشيخ السعيد المقابلة لجزيرة ميون التي تبعد عن عدن بحرا ٥٠٠ ميل والتي جاءت تسميتها الأولى نسبة إلى رجل من الصالحين دفن فيها فسميت باسمه كما أن قبور الاتراك لاتزال موجودة فيها.. وبعد أن ذهبت رياح التشطير جمعت ثلاث محافظات في شاطئ واحد.. يمتد على طول المستقبل الذي بدأ بالطريق ونأمل أن تنتهي بمهرجان المنتزهات السياحية.

شاطئ غريرة

● غريرة يغلب عليها الطابع الريفي وإن كانت قد التمست الكثير من حياة المدينة – ولهذا تظل بحاجة إلى الكثير من الخدمات وإن كانت في طريقها إلى الاستمتاع بمشروع الماء بعد استمتاعها بوصول الطريق إلا أن القطاع الصحي ضرورة ملحة فيها.. كما أن عيادة واحدة ومتواضعة غير كافية لمعالجة المرضى هناك .. صيغة البناء قد تختلف في غريرة عنها في الشواطئ الساحلية حيث بدأت البنايات الحجرية تأخذ شكلا أكثر اتساعا فيما يظل مستوى دخل الفرد هو أساس تطوير ذلك من عدمه.. قبل أن ترحل من غريرة كانت فكرة زيارة جزيرة ميون عند أول نقطة المضيق قائمة.. لكن الرياح التي لم تمكننا من ذلك الأمر الذي فرض على الجميع إلغاء فكرة الزيارة إلى الجزيرة والاكتفاء بما تم مشاهدته وزيارة واحدة في ذاكرة الماء لاتكفي للتأمل .. وإن ظل الخيال مفتوحاً لزيارات قادمة أكثر متعة.

التاريخ في مضيق باب المندب

● كما أن زيارة المكان مع الجهل بتاريخه قد لايكون كافيا .. إذ أن المتمعن في المكان فإنه يجد الأهمية التي اكتسبته مضيق باب المندب كجزء من أهمية البحر الأحمر منذ عشرين قرنا قبل الميلاد عندما استغله قدماء المصريين لبلوغ بلاد البونت (الصومال حاليا) كما أشارت المصادر التاريخية وذكرت هذه المصادر أنه بعد الغزو الاغريقي لمصر أبحرت سفنهم حتى عدن بمضيق باب المندب ومنها إلى الهند.

وهكذا تعاقبت الدول على البحر الأحمر من الدولة الرومانية مرورا ببيزنطة وغزو الاحباش لليمن حتى جاء الاهتمام التركي بالسيطرة على البحر الأحمر بعد أن ورثوا الدولة المملوكية .. إلى أن جاء الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين على الساحل الشرقي لافريقيا .. وفي عام ١٦١٢م توالت السفن البريطانية إلى الموانئ اليمنية .. تبع ذلك عودة العثمانيين إلى اليمن دون أن يتمكنوا من احتلال عدن التي سبق وأن احتلها البريطانيون في ١٨٣٩م .. كما أن الفرنسيين وصلوا المخا في عام ١٧٠٩م..

بعدها ظهر التنافس بين البريطانيين والفرنسيين في القرن الثامن عشر على البحر الأحمر ومضيق باب المندب تلى ذلك صراع محمد علي باشا مع البريطانيين على ذات المنطقة إلى أن جاء الصراع العربي الاسرائيلي على منطقة البحر الأحمر .. والدور الذي لعبته البوابات الجنوبية والشمالية .. «باب المندب وقناة السويس» في حرب ١٩٧٣م.

وبعد الغوص في التاريخ والحاضر الجميل تظل اصابعنا صوب الجميل مع الحذر من إغماض ابصارنا .. في متعة الشاطئ ولهو البحر برماله.. تنتظر المستقبل ما الذي يخبئه لهذه المنطقة بعد أن عُبدت فيه اهم شريان الحياة.

وما الذي ستقوم به السلطات المحلية في المحافظات الثلاث عدن– تعز– لحج من تفعيل الطريق وتوفير كل ما يلزم المسافرين لتنشيط السياحة الطبيعية على الأقل وقبل ذلك الاهتمام بأبناء الشواطئ وأبناء البحر البسطاء.

□ محافظات عدن وتعز ولحج تلتقي عند شاطئ واحد ومسؤولية التنمية مشتركة